المحاضرة السادسة

7. حماية الدعوة إلى الإسلام ونظامه وحكمه (الجهاد) :

(من أهم أهداف الإسلام ودولته ، تحرير البشر من الاستعباد والظلم ، وإقامة العدل بينهم سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وهذا يقتضي أن يكون للدولة قوة ، وأن تستعمل هذه القوة في الجهاد، لإزالة الظلم والاستعباد بين البشر ، وإقامة العدل وحماية الكرامة الإنسانية ، وإخضاع الناس لنظامها الإنساني العادل ، سواء أدخلوا في الإسلام ، أو بقوا على دينهم ودخلوا تحت لواء نظامها وحكمها) [1].

ـ ومن أهداف الإسلام ودولته كذلك : نشر الإسلام والدعوة إليه عقيدة وشريعة ونظاما ، بالحجة والدليل والتعليم والحوار على الصعيد العالمي .

وهذه الدعوة السلمية نفسها قد تصادف من يمنعها ويكافحها، وهنا لا بد للدولة الإسلامية من حماية دعوتها بالقوة والسلاح، ومجاهدة من يقف في سبيلها فـ :

1/ منع الظلم بإقامة العدل ومنع الاستعباد بالتحرير لبني الإنسان.

2/ وحماية نشر الدعوة إلى الإسلام ونظامه .

هما هدفا الجهاد الإسلامي .

وقد يسأل البعض لماذا حمل الرسولρ السيف ولم يكتف بالاقتناع ؟ فالجواب أن:

(في هذا السؤال إيماءة مرفوضة إلى أن الرسولρحارب ليحمل الخصوم على قبول الدعوة ، وهذه تهمة لا أصل لها من عقل أو نقل ماذا يدّعيه المدّعون بعد أمر الله لرسوله [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] [الكهف:29] وقوله سبحانه [إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا] [الإنسان:29].

---

(1) - محمد المبارك ، نظام الحكم ، ص 92 .

إن الإسلام بنى خطته في الحياة على استحالة زوال الأديان كلها ، واكتفى بأن يبقى مذكرا بالحق منكرا للهوى ونرى ذلك في قوله سبحانه [ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاء ك من العلم انك إذا لمن الظالمين] [البقرة:145].

حسبنا نحن المسلمين أن نقرر الحق وأن نحيا على هداه، وأن نمد طريقه لمن أحب سلوكه، ولنا بلا ريب أن نرد المهاجمين وأن نحمي المستضعفين، وأن نسكت المفترين إذا تمادوا في أذاهم ...)[2].

(ولولا السّيف الإسلامي الصّلب ، ولولا الرجال أولوا البأس الذين حملوه ، ولولا نبي الملحمة الذي انتصب دون دينه وعرينه ، لذهب الإسلام في خبر كان . وربما ظن عليه الاستعماريون بدموع التماسيح بعدما يزول. إن المؤرخين الأوربيين غضاب ، لأن الإسلام قاتل الرومان ؟فهل سأل أحدهم نفسه : من الذي جاء بالرومان إلى الشام وآسيا الصغرى ؟ومن الذي جاء بهم إلى مصر والشمال الإفريقي ؟؟

أكان الإقناع طريقا إلى إخراج أولئك المستعمرين من أرض احتلوها أكثر من خمسة قرون ؟

هل أفلح الإقناع في إنهاء استعمار البيض من جنوب إفريقيا ؟

إن الحرب وحدها بكل مغارمها ومتاعبها، هي الطريق الفذ لمحو الاستعمار الطويل .

إن الإسلام أغنى الأديان بالأدلة وأحرصها على استثارة الأفكار ومناشدة الضمائر، وكان يمكن أن يلام لو أنه آثر إعمال السيف على إعمال العقل ، أو قابل اللطف بالعنف ، أما أن يعرض حجته فيلقى الهزء والهوان ، ثم يحاول المتمرسون بالدهاء والجبروت أن يوارى الثرى فدون ذلك ركوب الأهوال .

. الإسلام والعلاقات الدولية

1) . الحرب والسلم.

(2) – مائة سؤال في الإسلام ، ص 86 – 87 .

السلم لا الحرب هو هدف الحياة الاجتماعية، والمثل الأعلى للتعايش بين الأمم لذا فإن الإسلام على الإجمال يعتبر السلام الحالة التي يجب أن تتوجه إليها جميع الجهود ، فهي وحدها الحالة العادية التي تؤيّدها النصوص الشرعية الأصلية ، ومن ثم ينبغي لكل عمل أو تصرف مناقض أن يُعد إخلالا بهذه النصوص ، أو من باب المستثنيات ، فيقتضي بالتالي إهماله عند دراسة الشرع الإسلامي الصرف .

وهذا من أهم ما كان ينادي به الغزالي ويحاول أن يؤصل معناه في أذهان المسلمين ، (ذلك أنه وإن كان الراسخون في العلم قد رفضوا ما نقرره في هذه المقدمة ، فإن أفواجا من الشباب المغرور والشيخ العجزة ، انتشروا في هذه الأيام ، يؤثرون ألا إكراه في الدين ، ونسخ ألا محاسنة في الدعوة، ويجب وضع حد لهذا البلاء .) [3]

إن الإسلام دعا إلى السلم في كافة أحواله. واعتبر الحرب من إغواء الشيطان ، وصرّح بأن من يلقي السلام لابد من الامتناع عن قتاله ، ولقد صرّح فوق ذلك بأن من يلقي السلام لا يصح أن يقاتل بدعوى أنه غير مؤمن هذا صريح في نصوص القرآن الكريم الذي هو سجل الشريعة الإسلامية الخالد ، الذي يخاطب الأجيال كلها لا فرق بين عصر وعصر، ولا جيل وجيل .

ولعل مما يحتج به دعاة ألا محاسنة في الدعوة : آية السيف .

02. دار الحرب ودار الإسلام :

من المفيد أن نشير إلى أن المجتهدين في الفكر السياسي الإسلاميكانوا يعتبرون أن هذا التقسيم للدور إلى دار حرب ودر إسلام إنما فرضته علينا ظروف خارجية ومؤامراتعدوانية، ولولا وجود أناس يستكثرون علينا حق الحياة بديننا ، واجتياح عقائدنا معها ما اضطررنا إلى هذا التقسيم:

---

(3) – أنظر : محمّد الغزالي ، جهاد الدعوة ، ص 46 ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، (1420هـ-1999م).

(نحن المسلمين نؤمن بالأخوة الإنسانية ، ونعد اختلاف الأجناس والألوان مصدر تعارف لا تناكر ، ونود أن يحيا أهل الأرض في ضوء قوله تعالى : [إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..] [الحجرات 13] .

وقصة دار الحرب ودار الإسلام فرضتها علينا ظروف خارجية ومؤمرات عدوانية ، فإن هناك للأسف من يستكثر علينا حق الحياة بديننا ، ويريد بشق النفس أن يجتاح عقائدنا ويجتاحنا معها . [ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا .][البقرة 27] ومن حقنا أن نواجه هذا التحدي الذي فرض نفسه على العلاقات الدولية قديما ، فإذا انتهى انتهت معه آثاره ، وما أشوقنا إلى انتهاء هذه الأوضاع ، لكن أتراها زالت ؟

إن المطلوب من العرب أن يرتدوا عن دينهم ، ويتنازلوا عن أرضهم بكل تبجح .

فهل يمكن إرساء العلاقات الإنسانية على هذا الأساس النهار ؟)[4].

لهذا فإن الغزالي يعرّف دار الإسلام بأنها:(جميع الأراضي التي يعمرها المؤمنون برسالة ρمحمدρ العاملون بكتابه وسنته المنفذون لشرائعه والمنضوون تحت لوائه) [5].

ويقصد بدار الحرب: (جميع الأراضي التي يقطنها الكافرون بهذه الرسالة، المخاصمون لها المعترضون لدعوتها، قد تتسع هذه الدار فتشمل كل الأوطان التي غزاها منها الصليبيون القدامى، أي أوربا كلها تقريبا، وقد تتسع هذه الدار فتشمل كل الأقطار التي أغار منها التتار علينا فوصلوا من الصين إلى فلسطين، وقد تضم كتابيين ووثنيين وملاحدة.) [6].

---

(4) – الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص 166.

(5) – مائة سؤال في الإسلام ، ص78 .

(6) – المصدر نفسه ، ص78 .

في هذا السياق الذي قسّم فيه العلماء الدور لدار حرب وعهد وإسلام، يورد الغزالي ملاحظة صائبة، أملاها تأمله العميق في تاريخ علاقات المسلمين الدولية ، مفادها أنه يمكن في كل الأحوال وجود دار رابعة تسمى دار الحياد.

ويبدي الشيخ عجبه لعدم اهتمام فقه العلاقات الدولية الإسلامية بالتنظير لأحكام تلك الدار.

وفي شرحه لمفهوم دار الحياد يقول الغزالي: (إن الذي يقول لي: أنا كافر بدينك ، أقول له: لي عندك طلبان: ألا تمنعني من أن أنشر الإسلام، فيقول لي: ليس لي شأن بك ، فأقول له: وألا تعترض غيرك إذا دخل فيه فيقول لي: ليس لي شأن به أيضا ، وهنا يصبح لا شأن لي به هو الآخر ، ولكن أن أقول له: هات الجزية ، فهذا يعني أني خطّاف ، فعلى أي أساس آخذ منه الجزية مادام هو محايدا ؟) [7].

وهكذا يمكن وجود تلك الدار الرابعة ، مادام وجد هذا الصنف من المتعاملين مع الإسلام. ويؤصّل الغزالي لفكرته بقوله تعالى: [فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا..] [النساء:90] . ففيه دلالة صريحة على عدم جواز التعرض لمن لم يتعرض للإسلام والمسلمين بسوء

(7) – ندوة العلاقات الدولية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص86 .